

المحاضرة السادسة: العلاقة بين الكلام والكتابة:

أصل الكلمات ألفاظ منطوقة، أصوات حادثة، لكن الكتابة تنسينا ذلك أحيانا لدرجة أننا لم نعد قادرين على تذكر كلمة دون أن نتخيل تهجئة حروفها وشكلها الكتابي على الورق. إننا بذلك فقدنا القدرة على تمثيل الطريقة التي يستطيع بها الرجل الأمي أن يتخيل الكلمات كأصوات فقط دون أن ترتبط في ذهنه بتهجئتها وشكلها المرئي، المكتوب.¹

إن العلاقة بينهما شبه متداخلة، إذ لا ينفك المرء وهو ينظر إلى الرموز اللغوية المكتوبة أن يستحضر منطوقاتها دون وعي منه، فتجذر الكتابة واتساع نطاقها في القرون الأخيرة أنسانا حقيقة كون اللغة شفاهية في أساسها. الكلام حال التلفظ به عبارة عن سلسلة من الأصوات المتتابعة يتلو بعضها بعضا عبر شريط زمني دائم الحركة.²

يصف شاعر الإغريق هوميروس الكلمات بأنها مجنحة لأنها تطير في الهواء حال التلفظ بها، لكن الكتابة قصت أجنحة الكلمات ومنعتها من الطيران، تثبتتها على الورق، أو كما يقول العرب "قيدتها". مع ظهور الكتابة بدأ الإنسان، ولأول مرة، يربط اللغة بحاسة البصر. هذا التحول من حاسة السمع إلى حاسة البصر يعني

¹ سعيد الصويان، الكتابة والكلام، الموقع، <http://66.39.147.165/html/Articles/A46.htm>

² المرجع نفسه.

تحول الكلام من حدث زمني سريع الانفلات والزوال والتلاشي إلى شيء ثابت مستقر في مكان يمكن الرجوع إليه متى ما نشاء.³

لعلنا حين ننظر إلى الكتابة اليوم نجدها أحد رموز التحضر والتعلم، عكس الكلام، فحتى الرجل الأمي يمكنه الكلام، ويمكنه تأليف ما لا حصر له من الجمل، غير أنه حين ينظر إلى نص مكتوب فإنه سيشعر بخيبة الأمل، بضعفه، بشبحية هذا الكائن الغريب أمامه. إنه كما قلنا فالعلاقة وإن بدت شبه متداخلة وهذا عند الإنسان المتعلم فهي عند غيره شيء يصعب فهمه، إنها أمر مستعص أمامه.

غير أنه في الحقيقة أن الكلام والكتابة لكل منهما خصائصه التي تميزه عن الآخر، فحين يمكن أن يمارس الإنسان الكلام في الوقت نفسه الذي يباشر فيه عملا آخر يدويا يمكنه أن يتحدث في الظلام وفي أماكن تختفي فيها إمكانية الكتابة، كما أن الكتابة ليست تمثيلا دقيقا متكاملا للكلام كونها لا تمتلك أدوات تسجيل للجوانب الموضوعية غير اللغوية المصاحبة للحدث التبليغي أثناء التكلم مثل حركات اليد، تعبيرات الوجه، إيماءات الرأس.⁴

³ المرجع نفسه

⁴ محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، بحث في النظرية، ص30.